المنظر الثالث

هانز . القضاه . فواح من الناس

القاضي الأول : هذا رائع ! .. ارتفاع متوسط . نحن بالتحديد فوق مملكة الماء وتحت مملكة الهواء .

القاضي الثاني : لقد رسى قارب نوح عند هبوط الطوفان على احدى هذه الربوات أيها النـاس الطيبون . وكان على نوح ان يحاكم الوحوش البحرية التى هاجمت أزواجها الجهنمية قاربه من فتحة الهواء .. تهانينا أيها الفارس .

هـــانز : لقد جئتم فى الوقت المناسب .

القاضي الأول : انه لأسهل بكثير أن تحكم فى خلاف بين سيدين بشأن الحدود الفاصلة بين مزارع الكروم الخاصة بهما من أن تحكم فى الحـد

الفاصل بين البشر والأرواح ، ولكن الاستجواب
هنا يبدو بسيطا .. انها أول مرة نحاكم فيها
جنية لا تنكر على الاطلاق كونها جنية .

القاضى الثانى : اذ لا توجد حيلة ، أيها الفارس ، الا واستخدمتها
هذه الكائنات لتهرب من التحقيق الذى نقوم
به معها . ثم انهم كثيرا ما يكشفون عن نقص
فى معارفنا .

القاضى الأول : فى الواقع لقد أثبتوا ذلك يا زميلى العزيز ،
منذ يومين عندما حكمنا فى قضية كروزناخ
Kreuznach على المدعوة دوروتيه Dorotheé
خادمة مدير البوليس . لقد كنت معتقدا أنها
سمندر ، هذا النوع من السحالى الذى لا يحترق
وقد وضعناها فى النار لنرى فاذا بها تحترق ..
لقد كانت احدى جنيات البحر .

القاضى الثانى : البارحة كذلك أيها الرئيس العزيز مع جرترود
Gertrud ذات الشعر الأحمر والتى يختلف لون
كل عين من عيونها عن الأخرى لقد كانت تقدم البيرة
فى توبنجن Tübingen وكانت الأكواب تمتلىء

من نفسها دون أن تمسها يد انها معجزة لا مثيل لهـا .

قذفنا بها تحت الماء بعد ربطها بخيط من الصلب ولكنها غرقت اذ كانت فى هذه المرة سمندر .

هـانز : هل صعدت أوندين معكم .

القاضى الأول : قبل أن نستدعيها يجدر بنا أن نعرف أيها الفارس بما أنك المدعى فى هذه القضية ، أية عقوبة تطالب بتوقيعها على المتهمة ؟

هـانز : الذى أطالب به ؟ أطالب بما يطالب به هؤلاء الخدم بما تطالب به هذه الفتيات أطالب بحق الناس فى أن يتركوا وشأنهم على هذه الأرض . فالجزء الذى وهبه الله لهم ليس بكبير ، هذا السطح البالغ ارتفاعه مترين بين السماء والجحيم ! كما أن حياة الانسان ليست جذابة الى هذا الحد بهذه الأيدى التى يجب غسلها والزكام الذى يجب أن نتخلص من افرازاته وخصلات الشعر التى تتخلى عنا .. الذى أطالب به هو أن نعيش دون أن نشعر من حولنا بتكاثر هذه الأرواح الغير آدمية التى تتحرش بنا وهذه

.. فى صباح يوم
زفافى أطالب بأن أكون وحيدا مع خطيبتى فى عالم خـــال من زياراتهم ومن أمزجتهـــم وازدواجهم ، وحيدا مع خطيبتى هــذا هو كل ما أريد .

القاضى الأول : هذا اذن هو مطلبكم الأعظم .

القاضى الثانى : انهم يضايقوننا بدون أدنى شك . فهم يجدون متعتهم فى مشاهدتنا ونحن نغسل أرجلنا ونحن نقبل زوجاتنا أو خادماتنا ونحن نضرب أطفالنا على مؤخراتهم .. ولكن الواقع لا يمكن انكاره : فحول كل حركة بشرية من أدنئهـــا الى أنبلها تجدهم يتجمعون ويلتفون من حـــولك وكأنهم حول مائدة طعام أو مشهد معجزه .

.. ها هى المتهمة ! يحتفظ بها
أحد الحراس واقفة . لأنها اذا نامت على بطنها
ستفعل ما فعلته المرأة ســـــمكة الثعبان التى
أمسكنا بها يوم الأحد ستكون فى الرين قبل
أن نلحق بها ..

المنظر الرابع

أوندين ، هانز . القضاه . جمع من الناس

القاضى الثانى : أصابع يدها ليست متشابكة . انها تلبس خاتما .

هـــانز : اخلعوه .

أوندين : مستحيل ! مستحيل !

هـــانز : انها دبلة زواج . وأنا أحتاج اليها الساعة .

القاضى الأول : أيها الفارس ..

هـــانز : العقد كذلك . هذه الميدالية التى تحتوى على صورتى !

أوندين : اتركوا لى العقد !

القاضى الأول : أيها الفارس . هل أستطيع أن أطالبك بآداب المرافعات أن سخطك وان كنت على حق فيه الا أنه يجازف بادخال الغموض فى القضية .. دعوى التعرف أولا ؟ ..

هـــانز : انها هى !

القاضى الأول : نعم ، نعم ! ولكن أين الصياد الذى أمسك بها ؟ فليقترب الصياد الذى أمسك بها !

أولريخ : هذه أول مرة اصطاد فيها جنية بحر يا سيدى القاضى . آه اننى فى غاية السعادة !

القاضى الأول : اننا نهنئك . ماذا كانت تفعل ؟

أولريخ : كنت أشعر اننى سأصطاد جنية ! منذ ثلاثين عاما وأنا عندى هذا الشعور . ولكنى كنت متأكدا هذا الصباح .

القاضى الأول : أيها البغل انى أسألك عما كانت تفعله !

أولريخ : وقد أمسكت بها حية ! التى أمسكوا بها فى ريجنزبرج Regens bourg قتلوها ضربا بالمجاديف . أما أنا فقد اكتفيت بخبط رأسها على حافة المركب لأفقدها وعيها فقط .

هانز : هذا صحيح أيها الحيوان ، فالدم يسيل من رأسها .

القاضى الأول : أجب عن الأسئلة ! هل كانت تعوم عندما أمسكت بها ؟

أولريخ : كانت تعوم ، كانت تظهر رقبتها ومؤخرتها . تستطيع أن تمكث عشر دقائق تحت الماء . لقد عددتها .

القاضى الأول : هل كانت تغنى ؟

أولريخ : لا . كان يصدر عنها صوت كالنباح . كان صوتا منجوحا بعض الشيء كانت تنبح كالكلاب الصغيرة . وكان نباحها يقول ، اننى أذكره جيدا : لقد خنتك مع برترام .

القاضى الأول : انك تهذى . هل تفهم فى النباح ؟

أولريخ : عادة لا أفهمه أبدا . فالنباح ما هو الا نباح . أما هذه المرة فاننى فهمت .

القاضى الأول : هل كانت تفوح منها رائحة الكبريت عندما أخرجتها ؟

أولريخ : لا كانت تفوح منها رائحة نبات الأشنة وزهور الزعرور .

القاضى الثانى : ليس لهاتين الرائحتين أية علاقة ببعضهما ! هل كان يفوح منها رائحة نبات الأشنة أم زهور الزعرور .

أولريخ : الأشنة وزهور الزعرور .

القاضى الأول : تجاوز عن هذا يا زميلى العزيز .

أولريخ : كانت تفوح منها رائحة تقول : لقد خنتك مع برترام .

القاضى الثانى : أتحدثك الروائح يا هذا ؟

أورليخ : هذا صحيح ، انك على حق . الرائحة ما هي الا رائحة ولكن هذه كانت تتكلم .

القاضي الأول : هل قاومت ؟

أورليخ : بالعكس ! تركتنا نمسك بها . كانت ترتعد فقط . رعدة معناها : لقد خنتك مع برترام !

هانز : هل انتهيت من الصراخ أيها الأبله !

القاضي الأول : سامحه أيها الفارس . فليس بالأمر الغريب أن يهذى . النفوس البسيطة لا تتحمل مثل هذه المواقف . ولكن شهادة الصياد المحترف ضرورية لنثبت شخصية الوحش المائي .. يبدو أنه لا مجال للشك .

أورليخ : أقسم أمام الله انها واحدة منهن . ورأسها ورقبتها تشبهان تماما تلك التي أمسكوا بها في نورمبرج Nuremberg واحتفظوا بها في حمام ساحة ووضعوا لها فيه عجل البحر .. كانا يلعبان بالكرة .. وقد أنجبا أطفالا .. انني أتساءل ما اذا لم تكن هي هذه .. الجائزة مضاعفة لمن يمسك بهن أحياء ، أليس كذلك ؟

القاضي الأول : مر علينا الليلة لتتسلمها . شكرا .

أولريخ : وشبكتى ؟ هل أستطيع أن أسترد شبكتى ؟

القاضي الأول : ستأخذها فى التاريخ المحدد لذلك . يومين بعد المرافعات .

أولريخ : لا لا يمكن ! أريدها فى الحال . انها من أدوات المهنة . على أن أصطاد الليلة ! ..

القاضي الثاني : حسن ! اذهب عنا ! لقد صـــودرت . انها لا تساوى شيئا .

القاضي الأول : أتم الفحص الشرعى يا زميلى العزيز .

هـــانز : قف ! الى أين أنت ذاهب ؟

القاضي الثاني : أنا كذلك طبيب أيها الفارس . سأكشف على جسد هذه الفتاة .

هـــانز : لن يكشف أحد على أوندين .

القاضي الأول : ان زميلى خبير لا مثيل له فهو الذى أثبت أن چوزيفا Gosepha لم تمس لالغاء زواجها وقد امتدحت كياسته .

هـــانز : أنا أؤكد أن هذه الكائنة هى أوندين ، وهذا يكفى .

القاضي الثاني : سيدى . اننى مقدر كم هو مؤلم أن ترانا نفحص من كانت شريكة حياتك ولكننى أستطيع دون

أن ألمسها أن أدرس عن طريق العدسة أجـزاء جسدها التى يتركز فيها الاختلاف مع جسد الانسان .

هـانز : انظر اليها بالعين المجردة ومن مكانك .

القاضى الثانى : ان رؤية شبكة الأوردة ثلاثية الفصوص التى ترسم حية الاغراء تحت ابط جنية البحـر بالعين المجـردة تبدو لى أمرا غير عمـلى . ألا تستطيع على الأقل أن تمشى أمامنا ، أن ترفع هذه الشبكة وتبعد ساقيها عن بعضهما !

هـانز : لا تتحركى يا أوندين !

القاضى الثانى : سنفقد الرضاء بالحاحنا ، والمعاينة تبدو كافية . أيها الناس ، هل منكم من يرفض الاعتراف بأن هذه السيدة جنية .

جريت : كانت طيبة جدا !

القاضى الثانى : كانت جنية طيبة . هذا كل ما فى الأمر ..

راعى الخنازير: كانت تحبنا وكنا نحبها !

القاضى الثانى : هناك أنواع متوادة حتى من السحالى ..

القاضى الأول : فلنبدأ اذن المرافعة . وهكذا أيها الفارس فأنت تلح فى المطالبة بصفتك زوج وسيد باتهام هذه

الفتاة بأنها قد تسببت لكونها جنية فى آلاف المضايقات فى المحيط الذى نعيش فيه ؟

هـــانز : أنا ، أبدا !

القاضى الأول : ألا تتهمها بأنها أدخلت فى بيتــك الأعاجيب والخوارق والأعمال الشيطانية ؟

هـــانز : أوندين شيطانة ؟ من يقول هذه السخافات ؟

القاضى الأول: إننا نسأل أيها الفارس ! ما هو الغير طبيعى فى هذا السؤال ؟

ملك الجان : (فى هيئة رجل من الشعب) أوندين شيطانة !

القاضى الأول: من تكون أنت ؟

أوندين : أسكته ! انه يكذب !

القاضى الثانى: حرية الكلام مكفولة فى مثل هذه القضايا .

ملك الجان : أوندين شيطانة ! هذه الجنية على العكس من ذلك تتنـــــــكر للجنيات لقد خانتهم كان فى استطاعتها أن تحتفظ بقوتهم وعلمهم كان فى امكانها أن تفعل عشرين مرة فى اليوم ما تسمونه أنتم بالمعجزات فتنبت خرطوما فى رأس حصان زوجها وأن تجعل كلابه مجنحين وتجعل الرين والسماء تجيبان على ندائها وتأتيان بالمعجزات .

لا ، انها قبلت التواء المفاصل والزكام
والطبخ بالدهن ! أليس كذلك أيها الفارس ؟

القاضى : تتهمها اذن _ حسب ما فهمت من قولك _ بأنها
أندست بيننا بخبث لتسرق الأسرار الآدمية ؟

هـــانز : أنا ؟ بالطبع لا ! ..

ملك الجان : اذا كان لإمرء ان يسخر من الأسرار
الآدمية فهى خير من تفعل هذا . لا شك
فى أن الرجال لهم كنوزهم من الذهب
والمجوهرات ولكن الذى كانت تفضله أوندين
لم يكن الا أحط الأشياء فكانت تفضل مقعده
وملعقته ....

هذا : انها أكثر النساء دمبة ودلك لأنها أرادت أن تكون امرأة برعبتها هى

القاضى : يدعى بعض الشهود انها كانت تقفل الأبواب عليها بالمزلاج ساعات طويلة ؟ .

ملك الجان : هـذا صحيح ، ومـاذا كانت تفعل يا جريت عندما كانت تسجن نفسها .

جريت : كانت تصنع الفطائر يا سيدى الشاهد .

القاضى الثانى : فطائر ؟

جريت : لقد استمرت تعمل شهرين لتنجح فى صنع العجينة .

القاضى الثانى : هذه واحـدة من ألطف الأسرار الانسانية .. ولكن يقولون انها كانت تربى الحيوانات فى فناء لا يدخله أحد ..

راعى الخنازير : نعم بعض الأرانب وكنت أحضر لها البرسيم .

جريت : والدجاج ، كانت تنزع بنفسها ما يتراكم على ألسنتها ويمنعها من الأكل .

القاضى الثانى : وكلابها ألم تكن تتكلم يا فتاتى الصغيرة . هل أنت متأكدة وقططها كذلك ؟

جريت : لا . أنا كنت أكلمهم . أحب التحدث الى الكلاب .. ولكنهم لم يجيبونى قط .

القاضى الأول : أيها الشهود . شكرا . سنعمل حساب هذا الموقف فى حكمنا . فلتعترف الشياطين والعفاريت وغيرهم من الزوار المتطفلين بعظمة وعبقرية الحياة الانسانية . وليعترفوا بمهارتنا فى صناعة فطائرنا وتبييض نحاسنا وطريقتنا فى علاج الأجزيما والجروح اذ لا يمكننا أن نجعل كل هذا فى مقدورهم .

القاضى الثانى : فيما يخصنى انا شخصيا أعبد عجينة الحلوى . لا بد وانها استعملت الزبدة قبل أن تنجح فى صنعها ؟

جريت : قوالبا منها !

القاضى الأول : سكون .. ها نحن فى صميم القضية : ايها الفارس لقد فهمت أخيرا ما تريده . أيتها المرأة هذا السيد يتهمك بأنك أدخلت فى بيته بدلا من المرأة المحبة التى كان يتوق اليها والتى انتحلت صورتها لبعض الوقت ، كائنا وهب

نفسه لصغائر الأمور . كائنا لا يهمه الا ملذات الحياة الحقيرة ، كائنا أنانيا وخال من الاحساس

هــانز : أوندين لم تحبنى ؟ من يجرؤ على ادعاء هذا ؟

القاضى : يبدو أنه من الصعب متابعتك ايها الفارس ...

هــانز : أوندين أحبتنى كما لم يحب رجل قط فى حياته ...

القاضى الثانى : هل أنت متأكد مما تقول الى هذا الحد ؟ انظر اليها : انها ترتعد خوفا لمجرد سماعها ما تقول .

هــانز : خوفا ؟ اذهب وافحص هذا الخوف بعدستك أيها القاضى ! انها لا ترتعد خوفا ، انها ترتعد حبا ! .. نعم بما انه الآن دورى فى الاتهام سأتهم . خذ قلمك يا كاتب الجلسة ! وضع غطاء رأسك أيها القاضى ! انكم تحكمون أحسن ورؤسكم دافئة . اننى أتهم هذه المرأة بأنها ترتعد حبا لى ، بأنها لا تفكر الا فى . أنا اله هذه المرأة ، هل تسمعوننى !

القاضى : أيها الفارس ..

هـــانز : ما زلتم تشكون ! أوندين ما هـو تفكيرك الوحيد ؟

أوندين : أنت .

هـــانز : ما هو خبزك ؟ ما هو خمرك ؟ عنـــدما كنت ترأسين مائدتي وترفعين كأســـك ماذا كنت تشربين ؟

أوندين : أنت .

هـــانز : من هو الهك ؟

أوندين : أنت .

هـــانز : هل تسمعونها أيها القضاه ! انها تدفع بالحب الى الالحاد .

القاضي : لا تبالغوا أرجوكم . لا تعقدوا القضية ، تريد فقط أن تقول انها تحترمك .

هـــانز : لا ليس هذا ما تريده على الاطلاق . أنا أعرف ما أقول وعندي براهين . كنت تركعين أمــام صـــورتي ، أليس كذلك يا أوندين ؟ كنت تقبلين طرف ثوبي ! كنت تقيمين صـــلواتك باسمي !

أوندين : نعم .

هـــانز : القديسون كانوا أنا . الأعياد كانت أنا . في عيد السعف من كنت ترين داخلا الى بيت المقدس على حماره ؟

أوندين : أنت .

هـــانز : وبماذا كانت تلوح الســـيدات من فوق رأسي وهي تهتف باسمي ؟ ألم تكن أغصان النخيل ، ماذا كانت ؟

الفـــارس : أنت .

القاضي : ولكن الى أين تريد أن تصل بنا أيها الفارس ! اننا هنا لنصدر حكمنا على جنية لا على الحب .

هـــانز : ذلك لأن القضية تكمن هنا . فليدخل الحب هذا القفص بمؤخرته المزينة بالشرائط وحقيبة سهامه ، انه هو المتهم . انني أتهم أصدق حب على كونه الحب الكاذب والحب الملتهب على كونه الحب الملعون بما أن هـــذه المرأة التي لم تكن تحيا الا بحبها لي قد خانتني مع برترام !

آكصدى : مع برترام !

القاضي الأول : اننا نضيع وسط المتناقضات أيها الفارس ! امرأة تحبك الى هذا الحد لا يمكنها أن تخونك .

هـــانز : أجيبى أنت ! هل خنتنى مع برترام ؟

أوندين : نعم .

هـــانز : اقسمى ! اقسمى على ذلك أمام القضاة

أوندين : أقسم أننى خنتك مع برترام .

القاضى : تأكيداتها هـــذه

لا تثبت شيئا : انك تترك لها قدرا ضئيلا جدا من التصرف فى اجاباتها . يا زميلى العزيز أنت الذى نجحت فى اظهار خطأ جنفييف دوبرابان Genevieve de Brobant نفسهـا عنـــدما كانت تؤكد أنها تفضل غزالها على زوجها وانها تفضل انتفاخات أنف غزالها على وجنات زوجها ، وجه الى هـــذه الجنية الثلاث أسئلة المفحمة .. السؤال الأول ..

القاضى الثانى : (مشيرا الى هانز) أوندين ، عندما كان يجرى هذا الرجل ماذا كنت تفعلين ؟

أوندين : كنت أنهج .

القاضى الأول : السؤال الثانى ! ..

القاضى الثانى : وعندما كان يجرح اصبعه .

أوندين : كان يسيل منى الدم .

القاضي الأول : السؤال الثالث ! ..

القاضي الثاني : وعندما يتكلم وعندما يرتفع شخيره في رقاده .. أرجو المعذرة أيها السيد .

أوندين : كنت أسمع غناء .

القاضي الثاني : لا توجد ثغرة في اجاباتها . انها تبدو صادقة ! .. وهذا الشخص الذي كان بالنسبة لك كل شيء ، خنته ؟

أوندين : نعم ، خنته مع برترام ..

ملك الجان : لا تصيحي هكذا ، فقد سمعت ..

القاضي الثاني : انك لا تحبين سواه ولا وجود لغيره ومع هذا فقد خنته ؟

أوندين : مع برترام .

هانز : ها قد عرفتم كل شيء !

القاضي الثاني : هل تعرفين ما هي عقوبة الزوجة الخائنة ؟ هل تعرفين ان الاعتراف بهذه الخطيئة تضاعف العقاب بدلا من تخفيفه ؟

أوندين : نعم ، ولكنني خنته مع برترام .

ملك الجان : انك توجهين كلامك لي أليس كذلك يا أوندين ؟ انك تتحرشين بي . حسن كما تريدين ! ولكن

استجوابى سيضيق عليـــك الخناق أكثر من القضاة . أوندين أين برترام الآن ؟

أوندين : فى اقليم بورجونى على أن ألحق به هناك .

ملك الجان : أين خنت زوجك معه ؟

أوندين : فى الغابة .

ملك الجان : فى الصباح ؟ فى المساء ؟

أوندين : ظهرا .

ملك الجان : هل كان الجو باردا ؟ هل كان الجو حارا ؟

أوندين : كان الجليد يتساقط . وقال برترام : ان الثلج سيحفظ حبنا ! .. لا يمكن أن تنسى هـــذه الكلمات .

ملك الجان : حســـن .. احضروا برترام ... من مواجهتكم ببعضكم ستولد الحقيقة .

القاضى : برترام اختفى منذ ستة أشهر . العدالة الانسانية لم تستطع العثور عليه .

ملك الجان : هذا لأنها ليست حقا قوية .. ها هو ! (برترام يظهر فجأة) .

أوندين : برترام ، يا حبيبى !

القاضى : هل أنت الكونت برترام .

برترام : نعم .

القاضى : هذه السيدة تؤكد انها خانت زوجها الفارس معــك .

برترام : اذا كانت تقول هذا . فلابد وأنه صحيح .

القاضى : أين حدث ذلك ؟

برترام : فى غرفتها الخاصة . هنا فى هذا القصر .

القاضى : صباحا ؟ مساء ؟

برترام : فى منتصف الليل .

القاضى : الجو أكان باردا أم حارا ؟

برترام : كانت الأخشاب تتأجج فى المـدفأة . وقالت أوندين : نشعر بالسخونة عندما نقترب من الجحيم .. لا يمكن اختراع هذه الكلمات .

ملك الجان : عظيم . كل شيء واضح الآن .

أوندين : ما الذى تجده عظيما ! لماذا تشك فى أقوالنا ؟ اذا كانت اجاباتنا لا تتفق فذلك لأننـا أحببنا بعضنا دون تحفظ ومن غير موانع هذا لأن العاطفة تركتنا بلا ذاكرة .. الأبريـــاء فقط هم الذين يستطيعون فقط التوفيق بين اجاباتهم !

ملك الجان : أيها الكونت برترام . خذ هـــذه السيدة بين ذراعيك وقبلها .

برترام : انني لا أتقبل الأوامر الا منها .

القاضي الأول : وقلبك ألا يعطيك الأمر ؟

ملك الجان : اطلبي منه يا أوندين أن يقبلك . وكيف تريدين منا تصديقك اذا كنت لا تسمحي له بتقبيلك !

أوندين : كما تريد . قبلني يا برترام .

برترام : أنت تريدين ذلك ؟

أوندين : أطالبك به . قبلني ! .. لحظة . لحظة صغيرة ! .. اذا انتفضت أو قاومت عنـــدما تقترب مني سيكون هذا رغما عني لا تهتم بالأمر .

ملك الجان : اننا ننتظر .

أوندين : ألا يمكنكم اعطائي معطفا ، رداءا ؟

ملك الجان : لا احتفظي بأذرعك عارية .

أوندين : حسن .. أحسن .. انني أعبد أن يقبلني برترام وهو يداعب كتفي العاريتين . هل تذكر هـــذه الليلة الجميـــلة يا برترام ! .. انتظر ! .. اذا صرخت عندما تأخذني بين ذراعيك يا برترام فهذا لأن أعصابي متوترة من تأثير هذا اليوم ..

لا تغضب منى .. قد يحدث على كل حال أن
لا أصرخ ..

ملك الجان : هل استقر رأيك ؟

أوندين : أو اذا أغمى على . اذا أغمى على يمكنك أن تقبلنى كيفما تشاء يا برترام كيفما تشاء .

ملك الجان : حان الوقت .

برترام : أوندين !

يقبلها .

أوندين : (وهى تقاوم) هانز ! هانز !

ملك الجان : وها هو البرهان أيها القضاة . بالنسبة للفارس وبالنسبة لى انتهت القضية .

أوندين : أى برهان ؟ (يقوم القضاة) ماذا بك ؟ ماذا تعتقد ؟ ألأننى قلت هانز عندما قبلنى برترام . هل هذا برهان على اننى لم أخنه ؟ اذا كنت أصيح باسمه فى كل مناسبة فهذا لأننى لا أحبه ! هذا لأن اسمه يتبخر منى ! عندماأقول هانز فـ هذا أقل ما أعنيه منه . وكيف لا أحب برترام ؟ انظروا اليه له قامة هانز ! وجبين هانز !

القاضى الثانى : المحكمة تتكلم .

القاضى الأول : أيها الفارس . يبدو ان دورنا قد انتهى فى هذه

القضية هل تسمح بأن نعلن حكمنا . هذه الفتاة أوندين أذنبت فى أنها تعمدت تضليلنا بأن تركت طبيعتها . ولكن واضح أنها لم تأت الينا الا بالطيبة والحب .

القاضى الثانى : ولكن هذا كثير : اذا أحب الناس بعضهم بعضا بهذا الشكل فى هذه الحياة ، ليس هذا للتخفيف ..

القاضى الأول : أما لماذا أرادت أن نعتقد فى علاقتها مع برترام فهذا ما لا نفهمه ولن نحاول أن نبحث عن سببه لأنه يمس علاقتكم الزوجية وتحفظكم . سنعفيها من التعذيب والعقوبة العلنية . سنقطع رقبتها الليلة من غير شهود . والى أن يحين موعد تنفيذ الحكم اخترنا لحراستها الجلاد وهذا الرجل لنعبر له عن شكرنا لمساعدته لنا فى ميدان العدالة .

(يشير الى ملك الجان)

القاضى الثانى : وبما أن موكب العرس ينتظر أمام الكنيسة ، اسمحوا لنا أن تتبعكم لنقدم لكن تمنياتنا .

(تظهر خادمة المطبخ ، وتبدو للبعض وكأنها الجمال كله وللبعض الآخر خادمه قذرة ..)

هـانز : من تكون هذه ؟

القاضي : ماذا ، أيها الفارس ؟

هـانز : من تكون هـذه التي تتقدم رأسا نحوى كما لو كانت عمياء أو كقارئة الغيب ؟

القاضي : اننا لا نعرفها .

أحد الخدم : انها خادمة المطبخ التي تغسل الصحون يا سيدى ، لقد أرسلت في طلبها .

هـانز : ما أجملها !

القاضي الأول : جميلة ، هذه القزمة ؟

جريت : ما أجملها !

أحد الخدم : جميلة ! انها في الستين من عمرها !

القاضي : تقدمنا أيها الفارس .

هـانز : لا ، لا يستحسن أن نستمع أولا الى من تغسل الصحون . سنعرف منها نهاية هذه القصة .. اننا نستمع اليك أيتها الخادمة .

القاضي الثاني : انه مجنون ..

القاضي : انني أشفق عليه . ولكننا نفقد صوابنا لما هو أقل من هذا ..

الخادمة : أنا الخادمة التي تغسل الصحون . جسدى قبيح وروحى جميلة .

هـــانز : هذا كلام مقفى ، أليس كذلك ؟

القاضى : لا على الاطلاق .

الخادمة : يعهدون الى بأحط الخدمات .
وأجد المجد فى رفى الشرابات .

هـــانز : لن تقولوا ان هذه ليست مقفاة .

القاضى : هذه أبيات من الشعر ؟ هل تشعر بطنين فى أذنيك ؟ أين هى هذه الأبيات ؟

راعى الخنازير: بلى ! انها بالفعل أبيات من الشعر .

أحد الخدم : بالنسبة لخنازيرك نعم ! أما بالنسبة لنا فهى نثر .

الخادمة : أعيش على الخبز والزبد الزنخ
ولكن ألمى من أرفع المراتب
وفى دموعى من الأملاح
قدر ما فى دموع الأباطرة
ومكر خادم الحظيرة يضنينى قدر ما تضنينى الملكة
وعندما يقول لها الملك فى المساء
لن أكون هنا قبل الغذاء
أيها المسيح هل ستفرق بيننا
عندما نكون أمام قلعتك فى انتظار دخولنا

بما انك سترى على جباهنا
نفس الأشواك وكل أخطائنا
وستخلط يوم عيدك بيننا
وتضع التاج على رأسى أنا
وستقول : السماء فتحت لكم
يا ملكاتى فكم قاسيتم .

هانز : أليس هذا ما نسميه قصيدة ؟ انها قصيدة ؟

القاضى الأول : قصيدة ! لقد سمعت خادمة تشكو لأنهم اتهموها بسرقة الملاعق الفضية .

القاضى الثانى : وأن تشققات أقدامها تدمى منذ نوفمبر الماضى .

هانز : أليس هذا منجلا الذى تحمله بجانبها ؟

القاضى : لا ، انه مغزل .

جريت : منجل ، منجل من ذهب !

أحد الخدم : مغزل .

راعى الخنازير : منجل . ومنجل قاطع ! فأنا أفهم فى هذه الأمور .

هانز : شكرا . أيتها الخادمة . سأحضر فى الميعاد ! .. تعالوا أيها السادة !

أحد الخدم : بدأوا الصلاة ، يا سيدى ..

(الجميع يخرجون ما عدا أوندين وخالها والجلاد)

المنظر الخامس

أوندين ــ ملك الجان الذى أحال باشارة من يديه الجلاد الى تمثال من الجليد الأحمر .

ملك الجان : النهاية تقترب يا أوندين ..

أوندين : لا تقتله ..

ملك الجان : اتفاقنا يستوجب ذلك . لقد خانك .

أوندين : نعم لقد خاننى . نعم أردت أن أجعلك تعتقد اننى كنت البادئة بالخيانة . ولكن لا تحكم على عواطف البشر بمقاييسنا نحن الجان . فغالبا ما يخون الرجل زوجته وهو يحبها . غالبا من يخون زوجته يكون أكثر الرجال اخلاصا . كثير من الناس يخونون من يحبون حتى لا يصابوا بالغرور ، وحتى يرضخوا وحتى يشعر بأنه شىء بسيط بالقرب من اللاتى هن كل شىء . أراد هانز أن يجعل منى زنبقة فى بيته وردة تمثل الاخلاص . التى دائما على

حق ، التى لا تخطىء أبدا .. كان طيبا أكثر من اللازم .. وقد خانني .

ملك الجان : ها أنت قد أصبحت شـــبه امرأة يا أوندين المسكينة !

أوندين : لم تكن لديه وســيلة أخرى .. أنا لا أرى وسيلة أخرى .

ملك الجان : كان الخيال ينقصك دائما .

أوندين : عادة فى ليالى الأعيـاد الخيرية ترى الأزواج يعودون الى منازلهم منحنى الظهور وفى أيديهم الهدايا . لقد خانوا لتوهم . وتشرق الزوجات .

ملك الجان : لقد أعطاك التعاسة ..

أوندين : بلا شك . ولكن فى هذه النقطة أيضا ما زلنا عند البشر . أن أكون تعسة هذا لا يثبت انى لست سعيدة . أنت لا تفهم شيئا فى هذا : ذلك لأنه فى هذه الأرض المليئة بمناطق الجمال ، أن نختار المكان الوحيد الذى تقابل فيه الخيـــانة والالتباس والكذب وأن ننغمس فيه بكل قوانا ، هذه هى السعادة بالنسبة للرجال . اذا لم يفعلوا

ذلك أصبحوا شواذا ، فكلما تألم الانسان كلما ازدادت سعادته . انني سعيدة . انني أسعد من في الوجود .

ملك الجان : سيموت يا أوندين .

أوندين : انقذه .

ملك الجان : ماذا يهمك ! لن تحتفظي بذاكرة البشر الا لبضعة دقائق فقط . اخوتك سينادونك ثلاث مرات وستنسين كل شيء .. انني أوافق على أن يموت في اللحظة التي تنسين فيها . سيكون هذا عملا انسانيا . على أية حال لم أعد حتى في حاجة الى قتله . انه يعاني سكرات الموت .

أوندين : ما زال شابا وقويا !

ملك الجان : انه يعاني سكرات الموت . أنت التي قتلته .

.. مثل هذا يحدث عند الرجال .
ليس على أشجار البلوط ولا عـــلى الجرائم
والوحوش يبذل الحطابون والفضاه والفرسان
جهودهم وانما على عـــود رفيع من الحيزران
وعلى البراءة وعلى فتاة صغيرة تحب .. لم يبق
له سوى ساعة ..

أونداين : لقد تركت مكانى لبرتا . كل شيء ممهد له .

ملك الجان : هل تعتقدين ذلك ! كل شيء يدور فى رأسه
الآن . فى رأسه موسيقى الذين يسوتون . كان
لكلام خادمة المطبخ عن أسعار البيض والجبن
وقع آخر فى أذنه . انه ليس بالقرب من برتا .
ينتظرونه بلا جدوى فى الكنيسة . انه بالقرب
من حصانه .. يحدثه حصانه ويقول له : وداعا
يا سيدى العزيز . سألحق بك فى السماء !
هذا لأن حصانه يحدثه اليوم بالشعر ..

أوندين : لا أصدقك . استمع الى هذا الغناء ! انها حفلة زفافه .

ملك الجان : انما هو يسخر من الزواج ! .. لقد انسلخ الزواج بأكمله منه كما تنزلق الدبلة من الاصبع النحيف . انه يهيم على وجهه داخل القصر . يحدث نفسه ويخطرف . هكذا يتصرف الرجال عندما يصطدمون بالحقيقة ، بالبساطة أو بكنز.. يصبحون ما يعبرون عنه بقولهم مجانين . يصبحون فجأة منطقيين لا يرضخون لا يتزوجون ممن لا يحبون ويكون منطقهم منطق النباتات والمياه والله : انهم مجانين .

أوندين : انه يلعننى !

ملك الجان : انه مجنون .. يحبك !

المنظر السادس

أوندين . هانز

يأتى هانز خلف أوندمين كما جاءت هى خلفه فى كوخ الصياد

هـــانز : أنا يدعوننى هانز !

أوندين : اسم جميل .

هـــانز : أوندين وهانز ، هدا أجمل اسمين فى لوجود ، أليس كذلك ؟

أوندين : أو هانز وأوندين .

هـــانز : أوه لا ! أوندين أولا ! انها العنـــوان ، أوندين .. سيسمى هذا أوندين . هذه القصة التى أظهر فيها هنا وهناك كأبله كبير ، غبى كالرجال . انهم يقصدوننى أنا فى هذه الرواية ! أحببت أوندين لأنها أرادت ذلك وخنتها لأنه كان يجب أن أفعل ذلك .

أوندين : سامحنى يا هانز .

هـــانز : لماذا تقع جميعهن فى نفس الخطأ ، سواء أكانت أســـماءهن ارتميز Artémese أو كليوبترة أو أوندين ! الرجال الذين خلقوا للحب هم الأساتذة ذوو الأنوف الكبيرة وأصحاب الدخل المكتنزون ذوو الشفاة الغليظة واليهـــود ذوو النظارات : هؤلاء عنـــدهم من الوقت ما يكفى ليشعروا ويسعدوا ويتألموا .. لا ! .. يتكالبون على قائد مسكين مثـــل أنطونيو أو فارس مسكين مثل هانز ، عـــلى شخص متوسط بائس .. ومنذ هـــذه اللحظة ينتهى المسكين .

من السماء الى الجحيم أخـــذوا يهزوننى فى عنف ، يحطموننى ويســـلخوننى ! دون أن يراعوا اننى غير موهوب لأرى جمال المغامرة .. ليس هذا من العدل .

اوندين : وداعا يا هانز .

هـــانز : وهكذا ! فى يوم ما يذهبن . فى اليوم الذى يبدأ كل شيء فى الوضوح ، فى اليــوم الذى تدرك فيه انك لم تحب سواها ، انك تموت اذا تركتك لحظة ، فى هذا اليوم يذهبن وفى اليوم الذى تعثر فيه عليهن من جديد ، فى اليوم الذى تعثر فيه على كل شيء لما لا نهاية ، هــذا اليوم !

قاربهن للرحيـــل وتنفرد أجنحتهن وترفرف خياشيمهن ويقلن لك وداعا .

أونديين : سأفقد الذاكرة يا هانز .

هـــانز : وتقصدين وداعا حقيقيا ! ان العشــاق الذين يتبادلون الوداع عادة على حافة الموت يعرفون انهم سيتقابلون ويصطدمون ببعضهم بلا توقف فى الحياة الأخرى . وانهم سيكونون دائما جنبا الى جنب ويتفاهمون بلا انقطـــاع بما أنهم سيصبحون أشـــباحا فى نفس المجال . انهم يفترقون على أن يتجدد الفراق . ولكن أونديين وأنا يذهب كل منا من شاطئه الى الأبدية ، من شماله العدم وعلى يمينه النسيان ..

أوندين : ان لم تمت ..... ستنسى أنت كذلك .

هــانز : ان لم أمت . .أنسى . . ما أسهل الكلام . لو كانت فقط الحياة تثير فى أى اهتمام ! منذ اللحظة التى ذهبت فيها، كل ما كان يفعله جسدى من تلقاء نفسه أصبح على أن آمره بأدائه . لا أرى الا اذا طلبت من عيناى أن تريا . لا أرى العشب أخضر الا اذا قلت لعينى أن تراه أخضرا . اذا كنت تعتقدين أن العشب الأسود مفرخ ! يا له من عمل مضن . على أن آمر خمس حواس وثلاثين عضلة ، حتى عظامى تنتظر أوامرى . لحظة من عدم الانتباه وأنسى أن أسمع وأن أتنفس .. سيقولون عنى مات لأن التنفس كان عبئا عليه .. مات من الحب .. أوندين ما الذى جئــت لتقولينه لى ؟ لماذا تركتهم يصطادونك ؟

.. ..

سأكون أول فرد من آل وتشتين الذى لن تكون له

أرملة .لن تكون هنـاك غير جنية
وستكون قد نسيتنى ..
هذا أيضا ليس من العدل ..

اوندين : اطمئن .. لقد اتخذت الاحتياطات اللازمة .كنت تلومنى أحيانا لأننى لا أغير من مشيتى فى المنزل ولأننى لا أنوع فى حـركاتى ولأننى أسير بخطوات محسوبة . ذلك لأننى كنت أعمل حساب هذا اليوم الذى سأنزل فيه من غير ذاكرة الى قاع البحـار . كنت أفرد قامتى وكنت أرغمها على اتخاذ خط لا يتغير . وفى قاع الرين حتى بلا ذاكرة سيمكننى أن أكرر الحركات التى كنت أقوم بها عندما كنت معك . والدفعة التى ستحملنى من الكهف الى الجذور ستكون نفس الدفعة التى كانت تحملنى من المائدة الى النافذة ، والحركة التى أدحرج بها قوقعة على الرمال ستكون نفس الحركة التى كنت ألف بها عجينة فطائري .. سأصعد

الى المخزن .. وسأخرج رأسي .. ستكون هناك دائما جنية برجوازية بين هذه الجنيات . أوه ماذا بك ؟

هانز : لا شيء ، لقد نسيت .

أوندين : نسيت ماذا ؟

هانز : أن أرى السماء زرقاء .. أكملي !

أوندين : سيدعونني الانسانة . لأنني لن أغطس بعد الآن برأسي أولا . سأنزل دائما من الدرج في الماء ولأنني سأتصفح الكتب في الماء ولأنني سأفتح النوافذ في الماء . كل شيء قد أعد . لم تجد النجف وساعة الحائط والأثاث الخاص بي . ذلك لأنني ألقيت بهم في النهر . كل شيء له مكانه وله طابقه انني لم أتعود بعد . أجدهم غير ثابتين ، يطفون .. ولكن الليلة سيبدون لي مثبتين وواثقين من أماكنهم كما تبدو لي الدوامات والتيارات المائية . لن أفهم الغرض منهم ولكنني سأعيش من حولهم . سيكون الأمر غريبا اذا لم أستعمل هذه الأشياء واذا لم تأتني الفكرة لأجلس على مقعد ولأشغل في

الرين الشمعدانات ولأنظر فى المرآة .. ربما دقت الساعة فى بعض الأحيان الى الأبد سأستمع الى الساعة .. ستكون لى غرفتنا فى قاع الماء .

هانز : شكرا يا أوندين .

أوندين : وهكذا وقد فرق بيننا النسيان والموت والأعمار والأجناس الا أننا ستتفاهم جيدا وسنخلص لبعضنا .

الصوت الأول: أوندين ! ..

هانز : انهم يطلبونك !

أوندين : سينادونني ثلاث مرات . لن أنسى الا بعد المرة الثالثة .. آه يا صغيرى هانز ، دعنى أغتنم هذه اللحظات الأخيرة ، اسألنى ! أحيى هذه الذكريات ، التى ستصبح بعد لحظات ذرات من الرماد . ماذا بك ؟ انك شاحب ..

هانز : ينادوننى كذلك يا أوندين ، شحوب كبير ، قشعريرة كبيرة تنادينى ! خذى هذه الدبلة من جديد وكونى أرملتى الحقيقية فى قاع البحار .

أوندين : بسرعة ! اسألنى !

هـانز : ماذا قلت يا أوندين فى الليلة الأولى التى رأيتك فيها عندما فتحت الباب أثناء العاصفة ؟

أوندين : قلت : ما أجمله .

هـانز : وعندما فاجأتنى وأنا آكل سمكتى المسلوقة ؟

أوندين : قلت : ما أغباه ..

هـانز : عندما قلت : فكرى فى ذلك من بعيد .

أوندين : قلت : ستتذكر هـذه اللحظة فى المستقبل .. اللحظة التى لم تقبلنى فيها .

هـانز : لا يمكننا أن نسمح لأنفسنا الآن بلذة الانتظار هذه . قبلينى يا أوندين .

الصوت الثانى: أوندين ! ..

أوندين : اسـأل ! استمر فى السؤال ! أنا كل ما فى يضطرب .

هـانز : أوندين يجب أن نختار ، تتبادل القبـلات أم تتكلم .

أوندين : سأسكت .

الفـارس : ها هى خادمة المطبخ .. جسدها قبيح وروحها جميلة .

تدخل الخادمة يسقط هانز ميتا .

أوندين : النجدة النجدة !

المنظر السابع

أوندين . برتا . أحد الخدم . جريت . على رخام الأرض الذى ارتفع تمدد هانز وقد ضم يديه على صدره . ملك الجان .

برتا : من ينادى ؟

أوندين : هانز ليس فى حالة جيدة ! هانز يموت !

الصوت الثالث: أوندين !

برتا : لقد قتلته ! أنت التى قتلته ؟

أوندين : قتلت من ؟ .. عمن تتحدثين ؟ من أنت ؟

برتا : ألا تعرفيننى يا أوندين ؟

أوندين : أنت يا سيدتى ؟ كم أنت جميلة ! .. أين أنا ! .. لا يمكننى أن أعوم هنا ؟ كل شىء صلب أو فراغ ... هل هذه هى الأرض ؟

ملك الجان : هذه هى الأرض ..

احدى الجنيات : (تأخذ أوندين) فلنتركها بسرعة يا أوندين !

أوندين : أوه نعم فلنتركها .. انتظرى ! من هذا الرجل الجميل فوق هذا السرير .. من هو ؟

ملك الجان : يدعى هانز .

أوندين : ما أجمله من اسم ! لماذا لا يتحرك ؟

ملك الجان : انه ميت ..

جنية أخرى : حان الوقت .. فلنذهب !

أوندين : انه يعجبنى ! .. ألا يمكننا ان نعيد اليه الحياة ؟

ملك الجان : مستحيل !

أوندين : (تتركهم يسحبونها) وا أسفاه ! كم كنت سأحبه !

ستار ..